مجلة اللسانيات العربية
The Arabic Linguistics Journal
مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للتخطيط والسياسات اللغوية، الرياض، المملكة العربية السعودية
ISSN: 1658-7421
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للتخطيط و السياسات اللغوية
King Abdullah Bin Abdulaziz Center For Language Planning and Policies

مجلة اللسانيات العربية، العدد 14، جمادى الآخرة، 1443هـ/يناير، 2022م

التضمين الوهمي في لغات البشر: أصوله و آثاره

فالح بن شبيب العجمي
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

توثيق البحث APA Citation:
العجمي، فالح. (2022). التضمين الوهمي في لغات البشر: أصوله وآثاره. *مجلة اللسانيات العربية*، *14*، 15-33.

تاريخ الإرسال: 1442/10/18
تاريخ القبول: 1442/12/29

Submission Date: 30/05/2021
Acceptance Date: 08/08/2021

ملخص:

يتناول هذا البحث كيفية تأثير اللغة في إدراكنا اللغة وسلوكنا. فهو يحاول تقصي القوة الهائلة التي تشكل بها اللغة صورة العالم لدى متحدثيها، وتؤثر بها في أفعالهم. إذ يجري التركيز فيها على عدة مصادر في اللغة، يتم من خلالها الاستغلال والاستعمال السيّئ؛ وكذلك على النتائج الخطيرة جداً للسلوك اللغوي غير المسؤول. ففي هذه الدراسة سوف نقوم بفحص، لما يفترض أن يجري العمل عليه، من أجل بقاء الأفعال اللغوية سليمة من الاعوجاج، بغرض أن يصبح استعمال اللغة، منذ بداياته، بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها؛ كل ذلك من أجل أن تتعرض لجوانب جوهرية من الاهتمامات البشرية. غير أن ما نحتاج إلى استيعابه تماماً، هو أن إدراكنا للعالم، كما تعكسه وتؤثر فيه لغاتنا التي نستخدمها في مجتمعاتنا المتباينة؛ ليس هو المظهر الذي يكون عليه العالم في الواقع الفعلي، بل إنه لا يتجاوز الطريقة التي نختار بها إدراكنا لذلك العالم.

الكلمات المفتاحية: إنتاج اللغة؛ إدراك اللغة؛ اختيار الوحدات؛ الأنساق الذهنية؛ صورة العالم.

Abstract

This paper, entitled Elementalism in human languages. It's origin and effects, is about how language affects our perception and behavior. It is a study that tries to instill an appreciation for the enormous power of language to shape our world views and influence our actions. It focuses on numerous sources of language misuse and malpractice and the terribly serious consequences of irresponsible language behavior. In this study, we examine in some details, what we need to do, in order to clean up our language act and begin using language conscientiously, to bear on significant areas of human concern. What needs to be understood fundamentally is that our perception of the world, as reflected, and influenced by our language, is not the way the world is, but only the way we selectively perceive it. Its significance is clearer by looking at the whole picture.

Keywords: production of language; perception of language; selection of units; mind systems; world views.

1.المدخل

يظن غير المتخصصين (وربما يشاركهم في الظن كثير المتخصصين)، أن الكلمات في اللغات البشرية الطبيعية (الدوال بلغة المتخصصين) تتوافق دائماً مع الأشياء أو المفاهيم التي تدل عليها تلك الكلمات (المرجع أو المدلول بلغة المتخصصين). لكن

موضوع هذا البحث يدرس مدى اختلاف الدوال عن مدلولاتها، أو حتى وجود دوال لا يقابلها مدلولات، فيما أسميه هنا "التضمين الوهمي" (Korzybski، 1974)[1].

ومن غير شك، أن هذا الموضوع تتداخل فيه حقول علمية متعددة؛ أبرزها علم المنطق والأنثروبولوجيا والاثنولوجيا وعلم النفس واللسانيات العصبونية. ومن خلال هذا التداخل بين تلك الحقول العلمية يتقصى البحث الحالي جذور التفكير والفهم وبناء الأنساق الذهنية (الفردية والمجتمعية) المرتبطة بهذه الظاهرة، التي التفت إليها بعض علماء الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا في مطلع القرن الماضي، لكنها فقدت زخمها خلال الثورات المعرفية المتلاحقة. وهي بالتأكيد ظاهرة تتيح الحرية للعلماء بمراجعة افتراضاتهم الجوهرية، ومصطلحاتهم، والعبارات المستخدمة، التي تتماهى – في حالات وعلوم ليست قليلة – مع افتراضات مخفية خارج إطار الوعي بالواقع الفعلي. ومما يجدر ذكره، أن هذه الحرية (في المنهج واختيار الأدوات) لم يكن مسموحاً بها في "العلوم البدائية"، وفي حالات الديكتاتورية المتحكمة في طرق تعريف الأشياء، وأصول التعامل معها، والتفكير فيها.

ربما نستعرض مثالين تتجلى فيهما الظاهرة بوضوح؛ أحدهما مشكلة "**الزمكان**" في بداية العالم وفي عصرنا الحاضر. إذ إن التفسير الأقرب لاضطراب التفكير والفهم والنسق الذهني فيما يخص ظروف الزمان والمكان، أن البشر – رغم تاريخهم الطويل على الأرض – لم ينضجوا بعد (أو لم يكونوا قد نضجوا بعد في فترات ما قبل هيمنة العلم الحديث) لفهم تلك المشكلات إلى ذلك الزمن الذي نشأت فيه جذور هذه الأزمة الفكرية البنيوية.

المثال الآخر الذي يوضح هذه الظاهرة، يتمثل في مشكلة "**غير المعلوم**" في إطار العقائد الدينية والماورائيات. فالبشر لديهم قدرة محدودة في الحصول على المعرفة الاستدلالية، التي لا تعتمد على بيانات الحواسّ، بل على استنتاجات من الوقائع التي تحدث. وفي حقيقة الأمر أن المعرفة الاستدلالية في الوقت الراهن تقتحم مجالات غير متوقعة لاختبار نجاعتها فيها؛ بل إن تطبيقات الاستدلال في علوم عصرنا قد أصبحت أكثر موثوقية من بيانات الحواسّ، التي تكون مخادعة في أغلب الحالات.

ففي الأديان قامت دراسات علمية رصينة بتحويل "غير المعلوم إلى الآن" إلى "معلوم" استدلالياً، مما يكوّن في مجمله عقائد، لكنها قائمة على افتراضات أولية أو قبل-علمية. إذ أصبحت أغلبها (سواء أكانت طقوساً دينية يؤمن بها البدائيون، أم ديانات كبيرة ومنظمة يؤمن بها الناس في شوارع المدن الكبرى) تمثل معرفة استدلالية خالية من **التضمين الوهمي**، حيث أصبحت المشاعر والرغبات والحاجات جميعها غير منفصلة عن ردود فعل الحياة الخاضعة للعقل.

وقد أصبح الأمر في العصر الحديث أكثر منطقية، فيما يخص الظاهرة التي ندرسها؛ إذ تحولت أبنية اللغة عن القوالب المدمجة، والمعتمدة على التناصّ ودغدغة المشاعر، لتكون أكثر تواؤماً مع متطلبات البشر على مستوى الأحداث والأحاسيس المرتبطة بها. ومن هنا وجدنا أن نظرية آينشتاين في النسبية قد حددت عامل الزمن بوصفه عنصراً فاعلاً في أبعاد الحدث الذي يقع في مكان معين (بمعنى أن جميع العناصر الفاعلة قد التفتت النظرية الفيزيائية الأحدث إليها)، وهذا يجعلنا نصنفها بأنها لم تخضع **للتضمين الوهمي**. وخلافاً لها - في الجهة المقابلة - كانت النظرية الفيزيائية الأقدم القائمة على فرضيات نيوتن، الذي نظر إلى المكان بوصفه عنصراً منفصلاً عن الزمان؛ مما يجعلنا نعدها خاضعة **للتضمين الوهمي**[2]. وهذا الأمر هو ما جعل نظرية آينشتاين في النسبية ثورة في الفيزياء والعلوم القائمة عليها (المرجع السابق).

وبطبيعة الحال هناك بعض العوامل التي تسهم في تطور ظاهرة "التضمين الوهمي"؛ من تشكّل العلاقات بين وسائل التعبير اللغوية والخصائص الفيزيائية، أو الحمولات الثقافية للمفاهيم المجردة. كما يقع جزء من تلك العوامل في إطار الفروق بين التصورات المرتبطة بالعالم الخارجي، وتلك التصورات المرتبطة بالعالم الداخلي للمتواصلين. ويتبع ذلك أيضاً دراسة ظاهرة

التداعي في أبعادها التركيبية والدلالية ضمن الأنساق اللغوية، ووظائفها في أذهان البشر عند التواصل، أو تحليل الرسائل اللغوية ومحاولات فهمها. ولا تقل عنها أهمية أيضاً قضية الترميز ودرجاته في استعمالات اللغات البشرية، وتطبيقاتها المختلفة من مجتمع إلى آخر، أو بيئة ومجال مهني أو علمي إلى غيره.

ويعمد البحث أخيراً إلى دراسة آثار تلك التطورات، وتداخلاتها مع كل من عمليات التجريد والتصنيف والتوسع في فكر الثنائيات والضدية المنطقية، دون أن يكون هناك ضوابط تحد من تغوّل الاستعمالات اللغوية على حساب قدرة تلك العبارات على نقل ما يراد تضمينه في الحالات التواصلية عن الوقائع أو المستهدفات المقصودة على أرض الواقع. ولن يكون بإمكاننا في هذه الدراسة التخلص من آثار شيوع الظاهرة المدروسة حتى في لغة بحثنا هذا، لكون اللغة نفسها ظاهرة تجريبية حسية، مثل غيرها من الأشياء والمدرَكات الأخرى.

2. نشأة التضمين وتداعياته

كيف ينشأ التضمين الوهمي في اللغات البشرية، وما مجالات تكوّنه وانتشاره؟ ربما يكون مثل هذا السؤال بسيطاً ومحدداً؛ لكن الإجابة عنه ليست بسهولة طرحه. فالظاهرة يلتفت إليها الدارسون بعد توافر عناصر وجودها، وتأثيرها في تفكير الأفراد والجماعات أو الأمم التي يتسع وجودها فيها.

ومن الحالات التي تنشأ فيها هذه الظاهرة يمكننا تتبع بعض أوضاع **الفذلكة اللغوية** لأغراض الاستعراض المعرفي أو الرغبة في الإبهار والتأثير. وكذلك نجدها تظهر في المداولات، التي تقوم على **السفسطة المنطقية**، حيث يبدأ بعض أطراف التواصل في ابتكار مصطلحات لا وجود لها على أرض الواقع، بغرض نقل واقع مزيّف إلى بقية الأطراف في العملية التواصلية. لكن دراستها أصبحت تأخذ منحى يهتم الدارسون فيه **بالتقسيمات والثنائيات** المتضمنة في اللغة، حيث يظن مستخدمو اللغة أن تلك الأقسام أو التقابلات لها وجود مستقل في كيفياتها أو أصنافها؛ وذلك كله يحدث ببساطة، لأنه قد ابتُكرت كلمات تشير إليها.

وهذه الحالة الذهنية المسماة في دراسات تحليل الخطاب "التسويغ" (Rationalization) تشيع في ثقافات كثير من الأمم، خاصة القديمة والتقليدية منها، بسبب من هذه الظاهرة التي ندرسها في هذا البحث؛ فمفردات اللغة الدالة على ذلك توحي بالوجود المتوهم (أو غير المثبت في أقل تقدير حسياً أو تجريداً). إذ تجري شرعنة وجود الشيء (المدلول) بالاستناد إلى المنفعة للجهة التي تضع الكلمات الدالة لذلك الشيء المتوهم من جهة، وإلى ضروب المعرفة التي صاغها المجتمع لاعتبار تلك الفعال صالحة معرفياً (فاركلوف، 2009، ص 194).

ومن الإطار المشترك بين الثقافات القديمة وجود أهمية كبيرة جداً لظاهرة التسمية، أو إطلاق الكلمات (الدوالّ) على الأشياء (المدلولات) (العجمي، 2008، ص 187). إذ تتفق – على سبيل المثال – المنظومات الهندية والآسيوية عموماً، والديانات التوحيدية على وجه الخصوص، بصورة غريبة على "الإقرار بالصبغة السحرية لمفعول الكلمة، التي يتفوه بها الإنسان في ظرف ما، والاحتفاظ بإحدى خصائص الأنطولوجيا القديمة المتمثلة في أنه لا وجود حقيقياً للنبات والحيوان، إلا عندما تُطلق عليه الأسماء" (الشرفي، 2001، ص 21-22).

الجدير بالذكر، أن عمليات فهم الواقع لدى البشر، خاصة في العصور المتقدمة[3] ،تجري وفق طريقة لا تتلاءم مع طرق تشكّله. فأغلبها[4] ينطلق من تجزئة متعمدة لمكونات العالم إلى عناصر منفصلة بعضها عن بعض، من أجل إعادة تركيبها في صورة مصنوعة عن تلك المكونات في الذهن؛ لكنها تتخذ صورة العالَم نفسه. وذلك بالطبع يرافقه تجزئة للوعي بالأشياء وعلاقات بعضها ببعض، ليكون وعياً مزيفاً بالعالَم الكلي (جميع العوالم الواقعية أو المتخيلة). لكن المشكلة الرئيسة في تجزئة هذه

العوامل وإغفال آليات التحكم فيها، أنها ترجئ النظر في بعض تلك المكونات، ظناً من المراقب أنها تبقى ثابتة باستمرار؛ وهو الأمر الذي يعيق الفهم المناسب لتغيُر الأحداث وتجدُد الحالات، وهو ما ينشئ في الوعي البشري ظاهرة التضمين الوهمي.

أما تداعيات التضمين الوهمي، فقد كانت في بدء الحياة البشرية الفكرية بسيطة؛ تتمثل في التصورات المرتبطة بما تلاحظه الحواسّ مباشرة من مشاهد الطبيعة ومجرياتها، وعلى وجه الخصوص حاستا البصر والسمع. فعندما لاحظ الإنسان في الرؤية الأفقية الممتدة، أن المشهد الكلي يشبه شكلاً نصف كروي؛ تمثل الأرض قُطْره. أما الفراغ الذي يعلو ذلك القطر، ويبدو على هيئة قبّة، فهو ما يمثل نصف محيط ذلك الشكل نصف الكروي. فأطلق الإنسان القديم على تلك القبة، التي توهم أنها شيء حسي ملموس، مصطلح "السماء"، أو ما يوافقه بلغات البشر الأخرى (Rapoport، 1971، ص 132)[5].

ثم تعددت رؤى العالم مع تراكم خبرات التجارب البشرية بشأن التعرف على البيئة المحيطة بالإنسان، وتحليل مكوناتها وآثارها عليه. وبعد تدوين التاريخ البشري تحوّل معه الوعي البشري إلى منظومة تراكمية تُتناقل من خلالها رؤى العالم المختلفة؛ لكن تلك الرؤى كانت متباينة في أنواعها تبعاً لتطور طرائق التفكير البشري وخصائص الحضارات التي تنشأ فيها تلك الطرائق. وأكثر تلك الأنواع بروزاً في العالم القديم تنتمي إلى الأقسام التالية:

أ – الرؤية الدينية

ب– الرؤية الفلسفية الميتافيزيقية

ج – الرؤية الجمالية الفنية (حنفي، 2012، ص 7).

وقد حاول بعض الفلاسفة اختراق هذه الدائرة بدءاً من الفيلسوف اليوناني طاليس الميليتي Thales of Miletus في القرن السادس قبل الميلاد؛ حيث أسس مدرسة أصبحت تعرف بمدرسة الفلاسفة الميليتيين (Milesian Scholl of Philosophers)، تُعنى بالاستنتاج العقلي. وكان أحد تلامذته أناكسيمندر Anaximander قد وسّع أطروحات طاليس، ويُظن بأنه من قام بتدريس عالم الرياضيات اليوناني الشهير – الشاب آنذاك – فيثاغورس Pythagoras. وكان طاليس قد طرح نظريته الأولى المتمثلة في أن العنصر الأساسي في الكون هو الماء؛ وهي التي تبناها البابليون في القرن الحادي عشر قبل الميلاد من خلال أسطورة Enûma Eliš، التي تصف الحالة الأولى للكون بأنها كتلة هائلة من الماء. وفي القرن الخامس قبل الميلاد وضع امبيدوكلس Empedocles نسخة مطورة عنها؛ تتمثل في أن الكون يتشكل من أربعة عناصر رئيسة هي: التراب والماء والهواء والنار.[6]

أما الإسهام الحقيقي الذي مثّل نقلة نوعية في الدراسات الفلسفية، فقد قام به الفيلسوف اليوناني سقراط Socrates، الذي يعد المؤسس الأول لنظرية المعرفة (Epistemology)، من خلال ترسيخ المبدأ التجريبي، وإدراجه منهج "الاستقراء" لأول مرة في تاريخ البشرية المعروف. وقد أصبح إلهامه منطلقاً لكل العلوم التجريبية في عصر النهضة العلمية.
ثم قام كل من ليوسيبوس Leucippus وديموقريطوس Democritus في حدود 400 ق. م. بتطوير نظرية أخرى تستنتج أن الكون يتشكل من ذرات فقط وفراغ مكاني (The Philosophy Book، 2011، ص 22).

ولا يسع المتتبع لتاريخ تطورات الفكر الفلسفي الوجودي أن يغفل دور أفلاطون Plato خلال القرن الرابع قبل الميلاد من خلال تأسيس أكاديميته في أثينا، التي أدخلت عوامل ميتافيزيقية متعددة في النظرة إلى الكون، وكان يصور العالم على أنه لا يعدو "الظل" لمنظومة مثالية من عالم الأفكار؛ وهو ما صار يُطلق عليه "مدينة أفلاطون الفاضلة". ولا يقل عنه أهمية في التأثير تلميذه أرسطو Aristotle، الذي أعاد الهيبة للمناهج التجريبية مستبعداً ميتافيزيقية أستاذه أفلاطون. وكانت أطروحاته تقوم على وجود الحقيقة من خلال البراهين الموجودة في العالم من حولنا، كما كانت استنتاجات الحواسّ تنال ثقة

في كتاباته. وكان له دور بارز في وضع الأسس لتصنيف حقول المعرفة المختلفة، وطرق تعلمها، مما يوجد بعضه في عصرنا الحاضر، مثل: الفيزياء والمنطق والميتافيزيقا والشعر والأخلاق والسياسة وعلم الأحياء. وكانت مدرسته التي يُطلق عليها "الليسيوم" قد أسهمت في ترسيخ نظرية المعرفة الأرسطية في عصور لاحقة، مما أصبح يُعرف بالإرث العلمي والفلسفي الأرسطي.

وقد احتاجت البشرية إلى قرابة ألفي عام، ليعود تثبيت فكر سقراط – أرسطو المتمثل في المناهج التجريبية؛ إذ أعاد عصر النهضة، بدءاً من أطروحات فرانسيس بيكون Francis Bacon في أواخر القرن السادس عشر الميلادي المنهج التجريبي مرة أخرى، كما أسس جون لوك John Locke في أواخر القرن السابع عشر الميلادي المدرسة التجريبية البريطانية. وأعطى دافيد هيوم David Hume في القرن الثامن عشر دفعة قوية لهذا التيار بمقاومته مناهج العقلانية (أتباع السبب، وهي نظرية أفلاطون في مبدئها). حيث أصبح أتباع هذا التيار التجريبي يؤمنون بأن كل المعرفة تأتي من التجربة؛ وربما يمثل آخر رموزها عالم الرياضيات ورائد الفلسفة التحليلية البريطاني برتراند راسل Bertrand Russell في القرن العشرين الميلادي.

الخلاصة أن التيار التجريبي (البريطاني على وجه الخصوص) كان يقاوم الفلسفة العقلانية الأوربية في تحليل طرق حصول الإنسان على المعرفة؛ بدءاً من تساؤلات علماء مثل إسحاق نيوتن عن كيفية قدرتنا على معرفة ما نعرفه، إلى تحقيقات علماء معاصرين بشأن طبيعة العقل البشري والنفس البشرية. وهذا يعني – فيما يخص موضوع البحث – أن الدراسات التجريبية كانت قد دفعت منظومة التفكير البشري في أربعة القرون الأخيرة (بعد أن أصبحت تطبيقاتها واسعة الانتشار) باتجاه التقليل من مساحة الاضطراب في تعدد الرؤى الفردية، التي لا يمكن حصرها في أطر أنساق موضوعية؛ وتلك المساحة هي التي كانت تؤدي بالضرورة إلى اتساع إمكانات التضمين الوهمي. أما في حالة زيادة رصيد اللغة العلمية، التي تصاحب طرائق التفكير التجريبية، فإن اتجاه التفكير في الأشياء والأحداث يكون أكثر واقعية (بمفهوم عدم التعدد أو الضبابية أو وجود الدوال التي لا مدلولات لها).

غير أن المشكلة تكمن في كون التفكير في أمور الحياة الاعتيادية، أو خطوات البحث في العلوم التي تعتمد المنطق خلافاً للرياضيات، تقوم على الكلمات؛ وليس على الأرقام أو الرموز (المحددة دلالياً مثل عناصر المعادلات الكيميائية). لذا، فإنها تكون عرضة للتعدد الدلالي والعجز في التعبير عن الفروق الدقيقة بين الأشياء أو مكونات الأحداث (في الحياة اليومية)، أو خطوات التحليل (في الدراسات العلمية).

كل هذه الإشكالات في نشأة الظاهرة، والتداعيات المختلفة المرتبط بعضها بعمليات فهم الواقع، وبعضها الآخر بتجزئة الصور الذهنية المتكونة لعوالم بيئة المشاهدات وعناصر التفكير؛ من أجل ذلك كله تكونت أزمة بنيوية، فيما يخص العلاقات بين الواقع بكافة أصنافه والرغبات الذاتية في فهمه وتصنيفه وتجريده. وهي القضايا التي سنتناولها في المبحث التالي.

3. جذور الأزمة بين الواقع والرغبات

تتسع مناطق تكوّن مسببات هذه الأزمة الدائمة في اللغات البشرية، لتشمل كلاً من طرق التفكير وإشكالاتها، وقضايا الفهم ومحدداته، في العلاقة بين أطراف التواصل. كما تتأثر عناصر التفكير ومحددات الفهم بأبنية الأنساق الذهنية واتجاهات المقاصد التواصلية؛ كل ذلك في دائرة تكون محصلتها حدوث الهوة بين المكوّنين الرئيسين لإنتاج اللغة: الواقع الفعلي بوصفه المحفز لاستعمال اللغة، والقرار الشخصي في الاختيار (المبني بطبيعة الحال على مشاعر من الرغبات والمخاوف والمجاملات والإرادة وغيرها). وسنتناول في هذا المبحث جذور الأزمة أولاً، باستعراض إشكالات التفكير والقضايا المرتبطة بالفهم. ثم نجري مقاربة تحدد تداخل الأنساق الذهنية، وتبين بعض نتائج المقاصد التواصلية في حالات تمثيلية.

1.3. جذور أزمة التضمين الوهمي

تقع جذور هذه الظاهرة في مراحل متداخلة ترتبط بالعمليات التواصلية على كافة المستويات؛ بدءاً من مرحلة الإثارة الأولى، مروراً بمراحل الاستجابة الأولى، والإثارة النيابية واستجابتها.[7] وينتج عن ذلك مداخل رئيسة تشترك فيها جميع تلك المراحل، وهي وفق الترتيب الزمني على النحو التالي:

- **طرق التفكير**

عندما نقول بأن طرق التفكير ذات أهمية كبيرة في تكوّن هذه الظاهرة، فذلك لأن كل طريقة من طرق التفكير في موضوع الإثارة الأولى ينتج عنها محصلة تختلف عما ينتج عن الطرق الأخرى. فالعالم شديد التعقيد، وواسع التنوع أيضاً في كل وقائعه ومكوناته؛ لكن جزءاً كبيراً من ذلك التعقيد والتنوع ناشئ عن اختلاف طرق تلقي عوامل كل منها من جهة، وتباين طرائق التحليل وزوايا النظر للعناصر المتعددة والعلاقات بينها من جهة أخرى.

ويمكننا أن نحصر الجزء المتعلق من هذه الأزمة بطرق التفكير في قضية إحالة الكلمات على الأشياء، دون أن تختلط مع التمثلات الذهنية (التي تتعدى علاقات الكلمات مع الأشياء، ومع مظاهر الواقع، إلى أفكار توجد في ذهن مستخدم اللغة). (ريكاناتي، 2016، ص 29) بل يفترض أن يكون منطلق صناعة الرموز اللغوية واستقبالها وتحليلها قائماً على التمثلات اللغوية بمفردها؛ وذلك حتى لا تتسع منظومة مرجعية الرموز، لتشمل المحتوى الفكري للرمز (في مجتمع أو فئة ثقافية محددة) أو المحتوى النفسي للرمز (لدى مستخدميه في السياقات المختلفة). ومن آثار اتساع المنظومة المرجعية بمحتوياتها المختلفة نشوء مقاصد ثانوية؛ تتنافس في البروز إلى الواجهة مع المقاصد الأولية، وتلك المقاصد الثانوية هي ما كان يطلق عليه بول جرايس "القصد الخفي". فعند فتح المظلة، فإن القصد الخفي لذلك الفعل هو حماية النفس من المطر؛ ومن يفهم هذا الفعل، فإن هذا السلوك يشي له بالقصد، الذي يصبح بذلك ظاهراً. ومن هنا، فإن القصد الأولي أو القصد الخفي هو الذي يعطي معنى الفعل – والذي هو هنا قصد الاحتماء من المطر. في حين أن الفاعل يمكن أن يكون له من جهة أخرى، قصدٌ ثانويٌ ممثلٌ في أن يظهر للمراقب قصده الأولي. ومن الوارد أيضاً، أن القصد الأولي للمتكلم ليس أن يحتمي من المطر، ولكن لإظهار مثل ذلك القصد (تخيلياً)، وذلك في الحالة التي يأخذ فيها "قصد ثانوي" بشكل من الأشكال مكان القصد الأولي. وبذلك يكون القصدان الأولي والثانوي غير قابلين للانفصال، وهما في مجال التواصل، مثل وجهين لقصد واحد معقد ومركب (ريكاناتي، 2016، ص 82).

- **محددات الفهم وحدوده**

لا تقل عمليات الفهم بمراحلها المختلفة أهمية عن قضايا طرق التفكير في تكوين تصورات الواقع لدى المتلقي، لكنها أيضاً – خلافاً لهذه التداخلات الأفقية مع طرق التفكير وبناء الأنساق – تتضمن علاقات مرتبكة في كثير من السياقات مع عمليات التفسير والتأويل. وقد بدأ التحول في علم النفس الإدراكي من تحليل الوحدات المفردة إلى فهم الوحدات النصية الكبرى؛ ومن هنا تلتقي الدراسات اللغوية بدراسات علم النفس الإدراكي في الجانب المقصدي، لكون التحليل اللغوي بحاجة إلى نواحٍ غير ظاهرة في النص، ومجال وجودها هو التحليل النفسي. لذلك بذلت – كما يقول محمد مفتاح – محاولات للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجال اللسانيات (مفتاح، 1990، ص 38).

أما الحصول على المعرفة لدى المتلقي، فيسهم فيه عاملان رئيسان، هما:

أ– ألفة الكلمات وألفة تركيبها

ب– معرفة العالم الفيزيائي موضع التداول، والأعراف الاجتماعية في بيئة نشأتها (العجمي، 1999، ص 348).

كما يجدر التفريق بين الفهم الشخصي للخطاب والفهم الشخصي للموقف الذي يتحدث عنه الخطاب. ففي الحالة الأولى يكون موضوع الاعتقاد أو الرأي أو الصفة هو الوظيفة المباشرة للسياق الاتصالي الحالي، وبالتالي يتضمن تقويماً للخطاب أو بعض صفات الخطاب (مثل: الأسلوب أو التناسق الدلالي أو الآراء المعبر عنها) أو تقويماً للفعل الكلامي المكون بواسطة التلفظ بالخطاب أو تقويماً للمتحدث. أما في الحالة الثانية، فتتشكل الاعتقادات أو الآراء أو الصفات أو تُفعّل بمراعاة ما تعود إليه من مرجعية موضعية أو شمولية في الخطاب، مثل: الحدث السياسي أو الحالة الاجتماعية أو المشاركين في مثل تلك الأحداث والمواقف (Van Dijk، 1983،ص 37).

وإذا كان تكوين النص في حقيقة الأمر يعتمد على المتلقي، الذي يوجه الفعل الكلامي، ويعتمد عليه كذلك نجاح الحدث الاتصالي، وليس على المنشئ؛ فإن المعاني الأقرب إلى ذهن المتلقي هي التي تكون مفضلة لديه. والشيء نفسه يتحقق عندما يكون للعبارة أو النص أكثر من دلالة، فإنه يختار أكثرها سهولة أو بداهة؛ ففي الدعاية مثلاً عندما يكون للعبارة أكثر من معنى، ويكون أحد تلك المعاني جنسياً، فإن المعنى الجنسي هو الذي يقفز أولاً إلى ذهن المتلقي (Giora، 1991، ص 477).

2.3. الأنساق والمقاصد التواصلية

تتفاعل كل تلك الجذور المذكورة أعلاه، وتهيئ بيئة تكوين النسق الذهني المصاحب للعمليات التواصلية، أو أي نسق ذهني مسبق يؤثر في سيرها. كما تجري بصورة واعية أو غير واعية تكوين المقاصد، التي تمثل حجر الزاوية في الملاءمة مع الواقع أو عدمها. وهي قضية ذات تعقيد شديد، لارتباطها بكل من الطبيعة الفيزيائية، أو الأوضاع النفسية للأشخاص المتواصلين، أو الحالة التجريدية للدوال اللغوية، أو عناصر الموروث التي يمكن أن تنقل كل تلك الارتباطات إلى علاقات هلامية.

كما تؤثر في بعض جوانب اختيارها أو فهمها جوانب تبسيطية أو تلفيقية أو دعائية يقوم بها منشئو كثير من الخطابات، التي يحتاجون فيها إلى تلك الغايات، بأدوات لغوية قد تنجح أو تفشل في تحقيق تلك الوظائف التداولية أو الحجاجية.

- **بناء الأنساق الذهنية**

تعد عمليات بناء الأنساق الذهنية أحد أهم الموجهات في تكوّن ظاهرة التضمين الوهمي؛ إذ إنها تسهم في تغيير الوقائع الموضوعية لدى إنتاج الوحدات النصية، أو أثناء استمرار مراحل التواصل. حيث يقوم المنتج، بأثر من دوافع رغبوية أو مشاعر محددة نحو الحالة أو الحدث، بإعادة تصويرهما بطريقة لا تتوافق مع الواقع، أو بصبغ وصف الحديث بما يتواءم مع رؤيته الخاصة للأحداث والعلاقات بينها (براون و يول، 1997، ص 247).

وفي جميع الأحوال، لا بد أن يختلف الوصف عن التجربة الفعلية، لأن قول كلمة "غموض" – على سبيل المثال – مختلف تماماً عن الإحساس بشعور "الغموض". وهذا يجري في وصف الأشياء التي يعتمد تحديدها في الوصف على عوامل موضوعية بالدرجة الأولى، وتعتمد التجربة فيها على كمّ معرفي يمكن أن يتوفر لأي كائن بشري. إذن سيكون التباين كبيراً، عندما يكون الاختلاف بين الوصف والتجربة الفعلية في كلمات مثل "الحرية" أو "الأخلاق"، لأن كلاً من الذات الجمعية والذات الفردية لهما معايير خاصة في تحديدها، تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في البيئة نفسها. وهو ما ينأى أخيراً بحدود الوصف عن تجربة الواقع، ويجعل الاختلاف ليس نفسياً فحسب، يتساوى فيه البشر بصورة عامة (باختلاف بسيط يتعلق بالكم المعرفي)؛ بل هو أيضاً اجتماعي وثقافي بدرجة أكبر من ذلك التفاوت النفسي.[8]

في الواقع، إن عملية بناء تلك الأنساق تبدأ منذ المرحلة المبكرة، التي يلجأ فيها المنشئ إلى تأسيس خطة القول، وهي النقطة الأولى التي يُفصل فيها موضوع القول theme (الذي يراد الكلام عنه) عن الحديث rheme (المادة الجديدة المتضمنة في

القول). وفي هذه المرحلة بالذات يتشكل الحدس الذاتي العام للقول، ومن مميزاتها أن الفاعل يبدأ في فهم ماذا يعني أن يحوّل الموضوع إلى قول، وأخيراً يحوّل الحدس الذاتي إلى نسق من معاني الكلام الموسعة، ليكون مفهوماً بالنسبة إلى الآخرين. وهذا يقودنا إلى إحدى المشكلات الرئيسة في علم النفس، إذ يُفترض غالباً أن تصور الفكرة واحد من أوضح الأشياء في علم النفس؛ غير أن هذه الفرضية ليست صحيحة. فهي أحد دواعي ظهور التناقض، كما يسهم عاملان رئيسان في بنية ذلك التناقض:

العامل الأول يتمثل في كون تحليلات العلاقة بين الفكرة والقول عادة قائمة على افتراضات خاطئة، بأن الفكرة نوع من الصنع الجاهز بأي شكل من الأشكال، وأن الكلام يستعمل بالدرجة الأولى في احتوائها. وكما أشار فيجوتسكي منذ زمن، فإن قضية النقل من الفكرة إلى الكلام تكون في الواقع أكثر تعقيداً مما يُفترض بصورة عامة. وتبعاً لذلك لا يصح القول، ببساطة، إن الكلام يحتوي الفكرة، بل إن الفكرة تمر بعدة مراحل لكي تصبح ذات قوام متماسك، أو كما يقول فيجوتسكي: الفكرة تكتمل في الكلام.

العامل الثاني الذي يجعل الوصف النفساني للفكرة أمراً معقداً هو المشكلة المنهجية، التي تكمن في صعوبة فصل موضوع الشيء في الفكرة عن فعل مراقبة هذه الفكرة. فالأمر ليس سهلاً أن يتفاعل المنتج مع تدفق فكرة وعيه الخاص، وأن يظل في الوقت نفسه مفكراً. وهذا بالطبع يتداخل مع وصف القضية المتعلقة بالفكرة ودورها في إنتاج الكلام، وهي الصعوبات التي تجعل محاولات وصف الفكرة لم تتقدم كثيراً (Luria، 1982، ص 150).

ومع التنوع في التجارب الواقعية، التي تمثلها المفردات أو العبارات المستخدمة من جهة، وتباينها الكمي لدى المتلقي (أي قلة الأنماط المخزنة من التجارب أو كثرتها) من جهة أخرى؛ تظهر قضية أصبحت محور اهتمام في الدراسات المتعلقة بمطابقة الرموز اللغوية لتجارب الواقع. وقد جرى استعمال مصطلح أقل دقة، لكنه أكثر استعمالاً في هذا المجال، هو "سعة الأفق". وربما يتضمن ببساطة أن أنماط القوالب لدى الشخص المتلقي، الناتجة عن تخزين التجارب كثيرة ومتنوعة.[9] كما يسهم تعدد الافتراضات المسبقة في تنوع أنماط التفكير المرتبطة بقضايا نواجهها في الواقع؛ "فقد ننظر إلى التحيز العنصري مثلاً على أنه مظهر لنمط محدد من التفكير بشأن أفراد نصادفهم لعهد قريب. فنمنحهم صفات وأفعالاً مخصوصة على أساس نسق ذهني مسبق رسمناه لأفراد جنس معين ... فبدلاً من اعتبارها قيوداً حتمية تحدد كيفية فهمنا للخطاب، يمكن اعتبار الأنساق الذهنية بمثابة الخلفية المعرفية المنظمة التي تقودنا إلى أن نتوقع أو نتنبأ بمظاهر معينة في تأويلنا للخطاب". (براون و يول، 1997، ص 296).

- **المقاصد التواصلية**

المقاصد التي تندرج في عمليات التواصل المختلفة كثيرة جداً ومتعددة؛ لكننا سنكتفي هنا بإدراج نوعين من تلك المقاصد يمثلان محاور متدرجة في موضعة الحالات التواصلية الفردية على نقطة أو اتجاه في ذلك المحور الذي يمثلها.

النموذجان المختاران هما: محور التبسيط (أو التعقيد بالطبع في القطب الآخر)؛ ومحور المجاملة الاجتماعية (ويقابلها بالطبع الصراحة أو الوضوح أو الشفافية). وقد كان سبب اختيارهما، أن الأول منهما يمثل **النواحي المعرفية** في التضمين الوهمي، بينما يتداخل الثاني مع **النواحي الاجتماعية** فيه.

3.3. محاولات التبسيط

الملاحظ أن عملية التبسيط تكون في علاقة طردية مع التضمين الوهمي، وهي تقع غالباً في القضايا المعقدة أو الموروثة. مثلاً في قضية نشأة الكون هناك رغبة في معرفة أسباب الوجود وكيفية حدوثه (Krogerus و Tschäpeler، 2012، ص ص 6-7) لكن طريقة التعبير عن الأسباب والكيفية تتخذ أشكالاً متعددة، منها على سبيل المثال:

- التعبيرات المبسطة جداً
  - الرب خلق السماء والأرض (الكتب الدينية البراهيمية)
  - الكون "ليس مخلوقاً"، بل يتحرك في دورات غير نهائية (البوذية)
  - نحن نعيش في أطورا مواءمة حاسوبية لحضارة متقدمة جداً (نظرية مصفوفة الكون)
  - الكون كان دائماً هنا (أسطورة فنلندية)
- التعبيرات المعقدة بدرجات متفاوتة
  - نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) (آينشتاين)
  - نظرية الحالة الثابتة، المتضمنة أن مظهر الكون لم يتغير، لكنه يتسع وتنشأ فيه مكونات جديدة باستمرار (هيرمان بوندي)
  - نظرية الوعي الثانوي المتمثلة في كون الوعي عمليات ذهنية تقوم بتحديده (جون ويلر)
  - نظرية "كل شيء" القائلة بأن الكون زمن تخيّلي دون بداية أو حدود، وهو ضرورة حسابية ما تزال في طور الاكتشاف (ستيفن هاوكينج).

4.3. المجاملة الاجتماعية

وتقع حالات هذا المحور أيضاً في علاقة طردية مع ظاهرة التضمين الوهمي. لكنها ذات صبغة اجتماعية؛ تتعلق غالباً بالإرشادات والأنظمة في الفضاءات العامة، وبالتعامل مع الآخرين في نصوص الحوارات الثنائية، أو في الخطابات السياسية والوعظية، وغيرها مما يتطلب مراعاة اختيار ما يناسب الطرف الآخر أو الجمهور.

وربما نمثل لبعض تلك الحالات من خلال بعض الإرشادات أو التنظيمات الداخلية في الفضاء العام:

- التعبيرات المجاملة
  - شكراً لعدم التدخين
  - الرجاء الهدوء في المكتبة
  - انتظامك في الطابور دليل وعيك
  - لطفاً ممنوع الوقوف
- التعبيرات الصريحة (الواضحة)
  - غير مسموح بالتدخين هنا

- يُمنع الكلام أو الإزعاج في المكتبة
- لا يحق لأحد تجاوز الطابور
- الوقوف هنا مخالفة مرورية.

4. تطورات الظاهرة و آثارها

سبقت الإشارة في المدخل إلى أهمية دراسة هذه الظاهرة، انطلاقاً من كون إيضاحها هو الفيصل بين استعمال اللغة في العصور القديمة، واستعمالاتها في عصر العلم الحديث، القائمة على فصل العناصر بعضها عن بعض، واختيار محددات للدوال اللغوية المرتبطة بالتجارب والمطابقة – قدر الإمكان – لمكونات الواقع الفعلي.

فلغات البشر جميعاً، خاصة اللغات ذات التاريخ الطويل في استخدامها وتطوراتها وتعدد لهجاتها، مرت بمراحل مختلفة ومتباينة جداً في سماتها التي تخص ظاهرة التضمين الوهمي. فقد كانت المراحل القديمة منها تتميز بما يمكن أن نسميه "اللغة الأسطورية"، حيث يهيمن التفكير الأسطوري على مستخدمي اللغة؛ وهذا النمط من التفكير "لا يتعرض بحرية إلى معطيات الحدس، لكي يربط بعضها ببعض ويقارن فيما بينها، بل يفتنه ويسترقّه الحدس الذي يواجهه فجأة. وهو يستقر عند التجربة المباشرة؛ ويكون الحاضر المحسوس من الضخامة بحيث يتضاءل أمامه كل ما سواه" (كاسيرر، 2009، ص 68).

ومن خلال تتبع وجود هذه الظاهرة في اللغات البشرية، وتطوراتها زمنياً، وفي مجالات استعمالات اللغات المختلفة؛ يمكننا أن نضع تدرّجاً لتصنيف مستويات النصوص اللغوية، تبعاً لسعة وجود الظاهرة أو قلّتها فيها (كما هي التقسيمات في الخطاطة الواردة أدناه). ونستطيع افتراض أن معدل 5.5 على مسطرة هذه المعايرة، هو الحد الأدنى للغة المتوافقة مع معايير العلوم الحديثة. الجدير بالذكر، أن علاقة هذه الأرقام المتدرجة طردية مع تفشي ظاهرة "التضمين الوهمي" في لغة النصوص (بمعنى أن الرقم 0 هو الخالي من اتصافه بالتضمين الوهمي).

خطاطة معايرة التضمين الوهمي

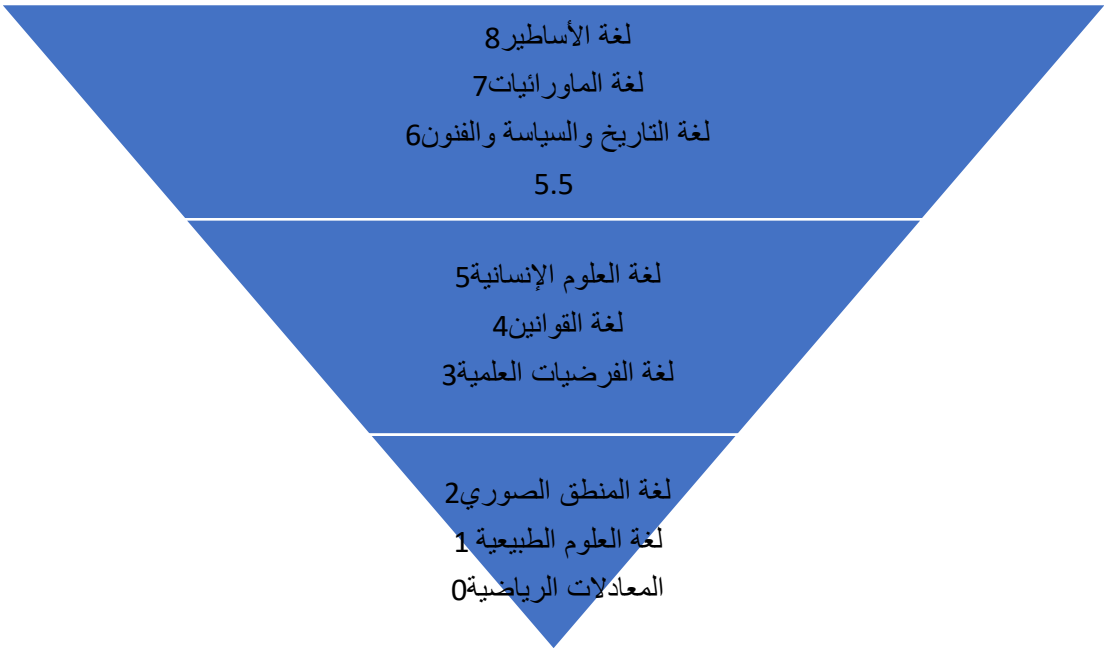

1.4. عوامل تطور الظاهرة

تنشأ عوامل تطور هذه الظاهرة عن عدة مصادر؛ منها ما هو متعلق بما يسميه برتراند راسل "الواقعية الساذجة"؛ (راسل، 2013، ص 46) ومنها ما يرتبط بالموقف من الأشياء والأحداث؛ ومنها أيضاً ما يكون منشؤه قضية التداعي (بين المدلول الذي يشير إليه اللفظ الدال في لغة بعينها، والمفهوم الذي يقصده المنشئ ويفترض أن يفهمه – وربما يفهم سواه – المتلقي).

وفي كل تلك المسببات يوجد عامل مشترك تكتسبه اللغة البشرية (أي لغة) في مسيرتها التراكمية، مما يجعل اللغة نفسها تنتج المزيد من العناصر الثقافية (على مستوى ثقافة المجتمع)، والنفسية (على مستوى الأفراد)، التي تؤدي جميعها إلى خلق ما يسمى "الخصوصية"، وصناعة عوائق تحول دون الشفافية، وتفرط في إيجاد القوالب المنطقية.[10] وهذه القوالب هي ما يجعل الأمر يزداد سوءاً في الاتجاه نحو مزيد من التضمين الوهمي.

1.1.4. بديهيات اللغة وخصائص الأشياء

هناك جدلية فلسفية تناوبت على إثارتها نظريات في مختلف الأزمنة، وفي اتجاهات فكرية مختلفة؛ تتمثل في السعي إلى معرفة مدى ثبات استنتاجات البشر الفيزيائية، فيما يخص الأحداث أو الصفات الرئيسة للأشياء، التي ندركها بالحس المباشر. ومن هنا نشأ مصطلح "الواقعية الساذجة" عند برتراند راسل (المشار إليه أعلاه)، وهي العقيدة التي تقول "إن الأشياء هي كما تبدو؛ فنحن نفكر أن العشب أخضر، والحجارة صلبة والثلج بارد. غير أن علم الفيزياء يؤكد لنا أن خضرة العشب، وصلابة الحجارة، وبرودة الثلج، ليست الخضرة، والصلابة والبرودة التي نعرفها في خبرتنا الخاصة، بل هي أشياء مختلفة جداً. فعندما يبدو الملاحظ، تجاه نفسه، أنه كان يلاحظ حجراً، فهو في حقيقة الأمر، كان يلاحظ آثار الحجر عليه" (راسل، 2013، ص 47).

والشيء نفسه يصح في تخصيص الأحداث أو الحالات، من خلال أدوات لغوية (تحديد الأسماء من خلال صفات ملحقة، أو تحديد الأفعال من خلال ظروف محددة للحدث). كما في الأخبار المتداولة عالمياً – في الوقت الحاضر – عن موقف الإيرانيين من مفاوضات فيينا بشأن البرنامج النووي الإيراني، التي تقول ما مضمونه: "إذا سارت المفاوضات مع القوى الكبرى **بالشكل الصحيح** فسنتوصل إلى صيغة اتفاق مناسبة".[11] ففي مثل هذا التحديد بعبارة "بالشكل الصحيح" تكمن عملية حجاجية تتضمن نصيباً من الأدلجة والأهواء، وأداة للابتزاز والاحتكار (احتكار الرأي والحكم بالصحة على الأشياء). وهي في هذه الأحوال، لو جردناها من التضمين الوهمي، ستكون العبارة: "... **بالشكل الذي نراه صحيحاً** ...".

2.1.4. العالم الداخلي والعالم الخارجي

يوجد خلط في ذهن المراقب ومستخدم اللغة، بأن ما يسجله من ملاحظات، وما يصفه باللغة، هي مكونات العالم الخارجي؛ في حين أن تلك الملاحظات تنبع من تفاعل الداخل مع الأحداث أو الحالات. ومن هنا تكون أغلب العمليات الذهنية المتصلة بالمشاهد الواقعية، أو اللغة المعبرة عنها، انعكاساً لذلك التفاعل الداخلي، أكثر منه تعبيراً موضوعياً عن الوقائع.

وتأتي الضدية فيما يخص العلاقات الموضوعية بين العالم الفردي من جهة، والعالم الخارجي من جهة أخرى، في مقدمة إشكالات هذه القضية. إذ تكتسب فكرة المقارنة الذهنية داخل كل فرد من ذوي العلاقة أهمية كبيرة في كشف ما يندرج ضمن إطار "**الذات**" (العلاقات الشخصية في داخل الأنا)؛ وما يقابلها في إطار "**ما وراء الذات**" (الحيز النفسي للدوافع، وطرق التداعي، والعقد النفسية، والتعلق الشاذ الذي يحول دون النمو النفسي السويّ، وغيرها) (Chase، 1966، ص 7).

لكن مستخدمي اللغة نادراً ما يتقصون طبيعة الكلمات نفسها؛ فالمستخدم العادي لا يتحقق مطلقاً مما إذا كانت تلك الكلمات التي يستحضرها لاستعمال تواصلي، أو يتلقاها في موقف تواصلي، تمثل أدوات مطابقة لمعطيات الواقع الذي تنقل مدلولات تتعلق به. كما أن كثيراً من المتخصصين أيضاً يفترضون أنهم يعرفون تماماً ماذا تعنيه الكلمات، سواء كانوا منشئين أو متلقين أو محللين لعبارات اللغة.

وفي التطورات العلمية الحديثة، نجد أن النظرية النسبية (التي وضعها عالم الفيزياء ألبرت آينشتاين) قد قضت على "الحتمية"، التي هي علاقة علّيّة، والتي قامت على دعائم ثلاث: المكان والزمان والمادة. فالنسبية قضت على فكرة التتابع الزمني، وفكرة التجاور المكاني، والمادة بدت (في نظرية الكمّ Quantum Theory) مجرد إشعاع متحرك متموج (راسل، 2013، ص 15). وهذه النقلة في المنهج العلمي (ليس في الفيزياء فحسب) حولت النظر إلى أسس التعبير اللغوي عن معطيات الواقع، الذي كان يقوم أصلاً على طريقة التعيّن، إلى إطار "اللاتعيّن"؛ حيث يكون المفهوم منفصلاً عما يمثله في العالم المحسوس.

3.1.4. درجات التداعي

يعد مفهوم "التداعي" أحد أركان النظريات الإدراكية والنفسية في خلق شبكة التصورات واستدعائها عند الحاجة (Neisser، 1976، ص 138)، مثلما أن له شأناً مهماً في الدراسات العصبونية المتعلقة بالذاكرة، أو بالقدرات الذهنية على التعلم.[12] لكننا نُعنى هنا بالمفهوم في حده الأدنى، القائم على استحضار الشيء عند سماع الدال المرتبط به في لغة معينة. وعلى أساس هذه الآلية تقوم وظيفة المعجم الذهني لأي جماعة لغوية ببناء الرصيد اللغوي، الذي يمثل شبكة من التداخلات مع الواقع من جهة، ومع التجارب البشرية (فيزيائية ونفسية واجتماعية) المتعلقة بالأشياء والأحداث من جهة أخرى.

وبالطبع حدثت التطورات في تاريخ الجماعات البشرية، وفي لغاتها على وجه الخصوص، المتمثلة في كون التداعي لم يعد مرتبطاً بحضور الشيء رؤية ومكاناً؛ بل أصبح الدال مرتبطاً بالمرجع (الشيء أو الحالة) حتى في حالة الغياب، وربما في حالة عدم رؤية ذلك الشيء أو الحالة أو المعرفة الحسية بهما إطلاقاً من قبل لدى بعض المتواصلين المستخدمين الدال الملازم للشيء أو الحالة.[13]

الجدير بالذكر، أن هناك كثيراً من الدوال اللغوية (في جميع اللغات البشرية) لا تخضع لعملية التداعي؛ بمعنى أنها لا تُتعلم بمدى تكرارها دالة على مرجع محدد. وفي حالات مثل تلك الدوال المتأخرة نشأة يكون مجال استعمالها قائماً على عمليات تطور في المعجم الذهني ناشئة عن عمليات تقويم لأحداث متداخلة أو صفات متباينة للأشياء أو الأنفس البشرية. ولدى استخدام هذه الدوال الخاصة عند من لا يدركون تلك المعرفة المرتبطة بتجربة التقويم، أو الدراية بحدودها في اللغة؛ فإن هوة كبيرة تنشأ بين العبارات اللغوية والمفاهيم المرتبطة بمدلولاتها.

ويكفينا أن نمثل لتلك الهوة التداولية، التي تُحدث انقطاعاً تواصلياً بين الأطراف المشتركة في الحوار، ببضع أمثلة من العبارات العربية المستخدمة كثيراً في الإعلام في وقتنا الحاضر. ومنها على مستوى المفردات: أريحية؛ قناعة؛ فظيع؛ رهيب ... إلخ؛ وعلى مستوى التراكيب: عبارات التعميم، مثل: "كل الناس يعملون كذا"؛ والتعبير عن التعدد في الخبر أو الصفة، مثل: "... بصورة أو بأخرى"؛ "... بشكل أو بآخر".

ومن يربط دلالات الكلمات بمرحلة من مراحل التداعي، فإنه يؤيد تأسيس التداعي بين الكلمة والشيء (في الواقع أو في الذهن)؛ حيث تُفهم الكلمة بغياب الشيء، أي أنها توحي بالشيء أو معناه الذي توحي به الرؤية أو اللمس (راسل، 2013، ص 116). وفي الوقت نفسه، فإنها تستدعي السلوك الذي يبدر من الشخص في حالة رؤيته لذلك الشيء (بالطبع إن كان من الأشياء

المحسوسة)، أو أن الكلمة تسبب سلوكاً مماثلاً في حالة سماعها أو قراءتها مع رؤية الشيء الدالة عليه أو تجربته. ويُستثنى من ذلك ما يُسمى "الكلمات المنطقية" أو الأدوات، التي يكون تسببها داخلياً في إطار اللغة (مثل أدوات النفي وحروف العطف وغيرها).

وفي خطوة متقدمة من عمليات التداعي تصل أغلب مستويات اللغات البشرية إلى هيمنة الإجراءات الرمزية على العملية التواصلية برمتها؛ ويجري التفريق بوضوح في مثل تلك المستويات بين العلامة اللغوية في التواصل، التي يستخدمها الإنسان مع إنسان آخر، والعلامة التي تستخدمها الكائنات الأخرى بعضها مع بعض، أو يحددها الإنسان للتواصل مع بعض الكائنات الأخرى. ويُحصر ذلك التفريق – بصورة خاصة – في كون العلامة في التواصل الأول **رمزية**؛ في حين تكون في النوعين الثاني والثالث **إشارية** (Hayakawa و Hayakawa، 1990، ص 14).

وهنا تنشأ التأويلات المختلفة، وتعدد الفهم للرموز نفسها عند أناس مختلفين في سياقات مختلفة، ويتلقون المفاهيم على أنها تتصف بالمرونة. وفي حقيقة الأمر، أن تلك الإجراءات الرمزية تضيف إلى قيم الحياة اليومية أو البيولوجية أيضاً قيماً رمزية؛ لكنه – خلافاً للعلاقة الإشارية – تكون الرموز والأشياء التي تحيل إليها الرموز كيانات مستقلة بعضها عن بعض. ومع ذلك، فإن كثيراً من المتواصلين بأي من اللغات البشرية يشعرون **كما لو** كانت تلك الكيانات (في العلاقة الرمزية) متصلة بعضها ببعض عضوياً، أو يتصرفون ويفهمون **كما لو** كان الأمر كذلك.

وفي هذا السياق تؤكد الدراسات المتخصصة، أن الكلمة ليست هي الشيء، مثلما أن الرمز ليس هو المحال إليه من خلال الرمز، كما أن الخارطة – في الحالة الموازية – ليست هي الإقليم (المرجع السابق، ص 19). وهذا ما يلخص المقولة التي تحدد أن المعنى بوصفه تفسيراً للعلامات، لا يمكن توسيع صلاحيته، ليشمل الرموز (Chase، 1966، ص 171).

2.4. آثار تطوراتها

هناك عمليات ثانوية تنشأ على هامش التعبير عن المقاصد التواصلية في كثير من الحالات، التي يجري فيها وصف الوقائع الفعلية بواسطة العناصر اللغوية. وهذه العمليات ذات صبغة تنظيمية، وتكتسب طبيعة منطقية في سيرورتها وأدواتها؛ وربما يكون القليل منها مفيداً لاستيعاب تعدد الأوضاع الحياتية، والعلاقات النفسية مع الأشياء أو الكائنات الحية، والمعالجات الذهنية للمعلومات والمعارف والتجارب وطرق التداعي المعتادة في كل حالة منها.

لكن الاستغراق في هذه العمليات – سواء أكان الأمر بوعي أم دون وعي – يؤدي إلى مسارين يفضيان إلى عدد كبير من السلبيات؛ أحدهما غض النظر عن العلاقة الرئيسة بين أبنية اللغة وعناصر الواقع، التي تكون مدار اشتغال التعبير اللغوي (إذ تكون العناية في هذا الأمر بالاتساق المنطقي، وليس بالتطابق مع الواقع).[14] أما المسار الآخر، فهو إنتاج عراقيل إضافية تمنع وجود الشفافية والوضوح في مقاصد المتواصلين، لأن جودة النماذج المتعددة يضفي طابعاً شبكياً على العلاقات بين الرموز ودلالاتها من جهة، وبين الدلالات والمفاهيم المستخلصة منها من جهة أخرى. ولا يغيب عن البال أنه مع ازدياد التخصصات العلمية، والدفع بكثير من المصطلحات، التي قد لا تكون متوافقة في بلدان ومناطق كثيرة، يجعل صعوبة تحديد عناصر الوقائع المرتبطة بكل مصطلح أو رزمة من المصطلحات من الأمور شديدة التعقيد.

1.2.4. إجراءات التجريد

لا يعد "الشيء المدرَك" في تجاربنا هو "الشيء نفسه" في الواقع؛ بل هو تفاعل بين أنظمتنا العصبية (بكل عيوبها) وشيء خارج عنها. لكن أدمغتنا تقوم بعملية تجريد آلية، بواسطة اختيار بعض الخصائص التي تعطي ذلك الشيء تميزاً عن الأشياء الأخرى؛ سواء في اللون أو الشكل أو الوظيفة أو العادات، لتمثل كل تلك الخصائص حزمة تجريدية خاصة بالشيء المدرَك في أذهاننا.

ومن هنا، فإن التجريد يعني اختيار مصطلح لغوي يجمع الصفات المستوحاة من العناصر الموجودة من ذلك الشيء في تجاربنا، حتى لو لم يكن له وجود في عالم الواقع. ومن جهة أخرى تنشأ عمليات تجريد تراكمية تخص المصطلح اللغوي الذي جرى تجريده، ليشير إلى فئة تشترك في بعض الخصائص (أسماء الأجناس والأصناف البيولوجية أو العناصر الفيزيائية وغيرها)، لتصبح كل واحدة من تلك العمليات في اللغة في حيز دلالي مختلف (مستبطنة عناصر ثقافية وتاريخية ونفسية). فتكون العمليات في أعلى سلّم التدرج ذات خصوصية لكل مجتمع – حسب ثقافته وتاريخه – وأحياناً لدى الأفراد – حسب أوضاعهم النفسية – وذات سمات تبتعد كثيراً عن مرحلة التجريد الأولى.

ولننظر في هذا السياق – على سبيل المثال – إلى كلمة "كلب"، التي كانت في بدايات تجريدها محددة لسمات عدد من العناصر المفردة لذلك الحيوان من الفصيلة الكلبية؛ لكنها اتخذت مساراً تعددياً مع اكتشاف الإنسان سمات مختلفة في كل نوع منه. فمنها ما يتصف باليقظة والقدرة على الحراسة، للحماية من فضول الدخلاء؛ ومنها ما يتصف بالسرعة والقدرة على ملاحقة الطرائد، لاستعماله في المساعدة على صيد بعض الحيوانات البرية السريعة؛ ومنها ما يتصف بالقدرة على التمييز بين روائح أنواع متعددة من الأشياء التي تمثل خطراً على الإنسان كالمخدرات أو المتفجرات؛ كما يتصف بعضها بقدرات فائقة على تعلّم مساعدة المرضى الذين تعتريهم بعض النوبات المفاجئة، أو الإنقاذ من الكوارث مثل الحريق أو الزلازل وغيرها. فقام الإنسان بإطلاق مصطلحات تجريدية جديدة، مثل: "كلب الحراسة"؛ "كلب الصيد"؛ "الكلاب البوليسية"؛ "كلاب الإنقاذ" إلخ. وفي تجارب تجريدية خاصة ببعض الثقافات دون غيرها، اعتادت بعض المجتمعات، مثل المجتمعات العربية القديمة، على ربط صفة الوفاء بهذه الفصيلة من الحيوانات (خاصة كلاب الحراسة)، مثلما هو الأمر في بعض المجتمعات الغربية حالياً التي تصف الكلب بالصديق. وفي اتجاه معاكس، وبعناصر "تضمين وهمي" جديدة أصبح "الكلب" في بعض المجتمعات العربية الحديثة يرمز إلى النجس (وفي اللون الأسود منه دلالات ميتافيزيقية أخرى)، أو صار يُعد تقليداً للمجتمعات الغربية.

أما النوع الآخر من التجريد في المفاهيم، فهو أكثر صعوبة في مرجعيته، وأكثر خصوصية من تجربة ثقافية إلى أخرى. ومن ذلك مصطلح "الديمقراطية" على سبيل المثال؛ حيث يكون التدرج في عملياته ليس من البساطة إلى التعقيد؛ بل من "المفهوم المركب" إلى عناصره البسيطة، والمختلفة من مجتمع إلى آخر ومن تجربة إلى أخرى.

ويبقى الطرف الأكثر استفادة من تطورات الظاهرة على مستوى التجريد، وهم أصحاب الفكر الأصولي في تأويل النصوص الدينية؛ إذ تعطيهم متسعاً لجموح الخيال، وإقرار ما يريدون تضمينه في الكلمات. لهذا كان افتتاح أحد أشهر النصوص الدينية: "في البدء كانت الكلمة"، وليس: "في البدء كان ما تعنيه الكلمة" (راسل، 2013، ص 229).

ومن خلال هذا التعدد والاستخدام غير المسؤول للاستعارة، فإن المستفيدين من هذه الظاهرة اللغوية يهيئون مجتمعاتهم لاضطراب كبير في مستويات التجريد، وفي ردود الفعل العمومية. وعندما يتأسس مثل هذا الاتجاه، فإنه يصبح من السهل استغلال قطاعات عريضة من الجماهير؛ فعندما تربط مصطلح "الاشتراكية" على سبيل المثال بالدب الذي يجثم على الاقتصاد ويخنقه، فأنت تسعى غالباً إلى إغلاق التكافل الاجتماعي، والتعليم المجاني، والخدمات الصحية المنظمة. وعندما تتحدث عن "الرأسمالية" بعموميات على أساس أنها غول يفترس الضعفاء، فإنك تهاجم كل المبادرات والمشاريع الاقتصادية الهادفة إلى الربح، وإلى تحريك الاقتصاد (Rapoport، 1971، ص 186). وهكذا يكون الأمر في كثير من المصطلحات الشائكة في نشأتها اللغوية وتطوراتها، مما له مساس بحياة المجتمعات وطرق تنظيم العلاقات فيها على وجه الخصوص.

2.2.4. إجراءات التصنيف

المرحلة التالية منطقياً لعمليات التجريد هي أن يقوم المرء بتصنيف ما تعددت مصطلحاته إلى فئات مختلفة وفقاً لصفات كل منها؛ حيث تبرز الفروق بين تلك الأشياء أو المفاهيم المتعددة، لتكون منطلقاً لتصنيفات الشيء أو المفهوم ضمن دائرة مختلفة عما يتميز عنه. وغالباً تكون تلك الحدود ضبابية في أغلب اللغات البشرية، وفي جلّ مجالاتها في استعمال اللغة العادية (فهي تكون في لغة الرياضيات والمنطق أكثر دقة)؛ وانطلاقاً من تلك الحدود الضبابية، خاصة في مجالات الدين والجنس والسياسة والموروثات الميتافيزيقية، تتكون بؤر "التضمين الوهمي"، التي تتسع كلما تقادم بها الزمن، لأنها تراكم عمليات تجريد وتصنيف إضافية في تلك البؤر؛ مما يجعل طيف الدلالات فيها عريضاً، والمرجعيات فيها أكثر غموضاً ولبساً وتورية (وهي إجراءات ربما تكون مقصودة أو مرغوباً فيها على أقل تقدير).

ويضاف إلى تصنيف الأشياء والمفاهيم أيضاً تصنيف لفئات طرائق التفكير المختلفة بين الثقافات المتباعدة؛ فيقال: "تفكير شرقي"، أو "عقلية شرقية" (Oriental Mind)، و"تفكير غربي" (Occidental Mind). ويقصد بالصنف الأول طغيان تأثير الفلسفات الشرقية من البوذية، أو الكونفوشية، أو الطاوية، أو أفكار الشرق المتأخرة لدى ماوتسي تونغ، أو بانديت نهرو، أو المهاتما غاندي (Hayakawa و Hayakawa، 1990، ص 107)، وفي المقابل يتضمن التصنيف إلى التفكير الغربي الاهتمام بالعقلانية، وفلسفة روسو، ومبادئ الديمقراطية والعلمانية، والإيمان بالرأسمالية في الاقتصاد. وهذا النوع من التصنيف يؤدي إلى مصادرات وتعميم؛ والأخطر من ذلك أن تنشأ عن تفشي هذه الآلية شعارات ساخرة، تُستخدم بوعي أو دون وعي في الحطّ من بعض الفئات، أو صناعة ملصقات فكرية (Labeling)[15] يُدرج فيها الأقليات أو المختلفون، أو حتى بعض المجدّين والمتميزين للحطّ من أنماطهم، التي لا يستطيع صانعو تلك الملصقات مجاراتهم فيها.

الجدير بالذكر أن منظومة التصنيف الفكرية تحوّل الأقوال من كونها تقارير إخبارية إلى أفعال توجيهية مباشرة (المرجع السابق، ص 109-110)، توحي للمتلقي بتصنيف الشيء، أو الحدث مدار المناقشة بطريقة معينة. ومن تلك التصنيفات التي تعتمد على الملصقات الفكرية ما يكرر فيه مستخدم العبارة اسم الشيء، أو المنتَج، أو الشعب، أو العرق، أو الدين، بوصفها ذات سمات محددة وفقاً لصور نمطية مسبقة. وتتعدد درجات تصنيف تلك الملصقات الفكرية على سلّم الجودة أو الرداءة المراد إلصاقها بالمسمى؛ ففي عبارة: A Jew's a Jew، ما يشير وفق الفعل التوجيهي المباشر، أن دينه مسبّة له (بما يحمله من إيحاءات). وحتى لو كان لهم أصدقاء من هذه الفئات، فإنهم يفصلون بين الشعار والنظر إلى هؤلاء على أنهم أصدقاء فقط؛ وفي عبارة: المرسيدس مرسيدس، ما يشير وفق الفعل التوجيهي المباشر، أن هذا المنتَج ماركة تجارية في الجودة.

3.2.4. انتشار فكر الضدّيّة

تؤدي هذه القضية إلى تضييق أوضاع المشهد الواقعي، الذي يوجد فيه الشيء، أو يقع فيه الحدث، أو تُستقبل من خلاله صفات أحد أطراف القضية. إذ تتحول الإمكانات المتعددة لوجود الشيء أو وقوع الحدث أو صفات الشخص المعني إلى ما يُسمى في دراسات المنطق الصوري "قانون الثالث المرفوع"،[16] الذي ينص على ما يلي: إما "A"، أو "لا A"، ولا ثالث لهما. كأن نقول: إما أن يكون الشاهد في المحكمة صادقاً، أو لا يكون صادقاً، وليس إلا.

وهذه النظرة توجدها غالباً عبارات نشأت تحت ظل ما أسميناه ظاهرة "التضمين الوهمي"؛ إذ توضع هذه الثنائية الضدية بوصفها إطاراً لكل الإمكانات المتاحة من الأشياء أو الأحداث أو صفات الأشخاص. كما أن ظاهرة "التضمين الوهمي" تسهم أيضاً في استمرارها واتساع نطاقها؛ حيث تكتسب نتائج هذا التقسيم الثنائي مشروعية منطقية من خلال حماية هذا

الفكر بإدراج عبارات تضمينية أخرى تصف المشكك أو المتردد أو الرافض لهذا الفكر، بأنه "خائن" (في حالة الارتباط بالفكر السياسي أو الوطني)، أو "كافر" (في حالة الارتباط بالأديان أو المذاهب)، أو "مارق" أو "متمرد" (في حالة الارتباط بالأنظمة الاجتماعية) إلخ. وقد استعملت هذه الآلية المزدوجة كثير من المنظمات الإرهابية ودوائر المافيا المحكمة، حيث تصدر حكماً إقصائياً ضد من يخرج عن قوانين الجماعة، لتجري بعدها تصفيته وفقاً لذلك الحكم.[17] ويربط بعض علماء الفيسيولوجيا هذه القتالية الفيزيائية الناتجة عن هذا الفكر بالمورّث القديم عند الإنسان في عصور نشأته الأولى، الذي يُطلق عليه "الكرّ والفرّ" (fight or flight) (العجمي، 2021، ص 61). وقد زالت أسباب الأخطار الوجودية الأولى المتعلقة بغريزة البقاء، لكنها بقيت في التاريخ البشري باستمرار، وربما تبقى معه إلى الأبد.

5. الخاتمة

كانت الأفكار المتعلقة بظاهرة التضمين الوهمي مبعثرة في مباحث هذه الدراسة؛ بين النشأة والجذور، وتكوّن الأنساق الذهنية، وتطورات الظاهرة، وآثارها في الثقافة وفي طرائق التفكير. لكننا نستطيع تبيّن قيمتها في اللغات البشرية من خلال استكشاف ما تؤديه في ثلاث عمليات مفصلية من مراحل استعمال أي لغة في التواصل بين الناس:

الأولى عملية اختيار المفردات (مع كل ما يتعلق بها من رغبة في التأثير – حسب تقديرات المنشئ – في كشف المضمنات للمتلقي)، وتتضمن تلك العملية مواءمة وموازنات يجري بعضها في وقت الاختيار، ويكون بعضها الآخر موروثاً أو ناتجاً عن استبطان عدد من المفاهيم المتعلقة بموضوع التواصل.

الثانية العناية بأثر الكلمات ذات البريق للمتلقي، أو الجاذبية لموضوع الحديث (حسب الأيديولوجيا أو الشغف). وتسهم تلك العملية في رفع الاهتمام بالرسالة، أو تؤدي إلى خلق اتجاه خاص للفهم. ومن أمثلة ذلك كلمة "العدو" أو "المؤامرة" (بالنسبة للمؤدلجين أو المؤمنين بنظريات المؤامرة)، أو كلمة "المزاج" (بالنسبة للمدمن).

الثالثة إدراج التناصّ من أجل إضافة حمولات معنى جديدة إلى العبارات المستخدمة؛ حيث تكون الكلمات والنص بصورة عامة لا تحتوي دلالة مقصورة على المفردات وسياق التواصل في الموقف المحدد، بل تنشأ فيه معاني من التفاعل بين عدة نصوص متقاطعة. وتتضمن هذه النصوص المتداخلة ضمن أشياء أخرى تاريخانيتنا الذاتية، التي تتكون بدورها من تفاعل بين الإشارات النصية واستراتيجيات القراءة لدينا، والتنشئة والتعليم، والاعتقاد ونظام القيم، والتساؤلات والتوقعات (Deist، 1995، ص 65).

وتعدّ ظاهرة "التضمين الوهمي" من أهم العناصر الفاعلة في كثير من الآليات الحجاجية في الحوارات والمرافعات أمام القضاء والتحقيقات والخطابات السياسية، كما أنها أحد مسببات المغالطات. ولذلك فهي تستخدم غالباً في تزييف الحجج، أو تسهيل تقبّل المقدمات المنطقية في المناقشات المتشعبة. وفي الوقت نفسه، يثبت استخدامها الواسع في أغلب اللغات البشرية، أن اللغة كائن ميتافيزيقي، وأننا لا نعرف كثيراً - خلافاً لادعاءات الفلاسفة المحدثين – عن العلاقة العضوية المتينة بين مكونات اللغة من جهة، وبنى العوالم المختلفة بكافة مستوياتها ونظمها وانحرافاتها عن أنساقنا الذهنية المرتبطة باللغة أيضاً التي تسيّر التفكير من جهة أخرى.

والخلاصة أننا من خلال التعرف على خفايا ظاهرة "التضمين الوهمي" يمكننا أن نتقدم في ملفات فكرية وحضارية متعددة؛ لعل من أبرزها:

(أ) فحص الأفكار المنحازة فحصاً نقدياً واكتشاف المسار الواقعي فيها.

(ب) تحرر عقولنا من طغيان العادة التي يفرضها الاستبطان الموروث لمعاني الأشياء وقيمها في الحياة.

(ج) التخلص من كثير من المغالطات، أو الحدّ من آثارها في حواراتنا وفيما نتلقاه من العالم الخارجي.

(د) نزع البريق عن الكلمات المؤدلجة يؤدي بنا إلى نتائج أهمها: مقاومة الإرهاب؛ والحد من التطرف؛ ومكافحة آفات الإدمان (بكافة أنواعه).

الهوامش

[1] سككت هذا المصطلح في مقابل مصطلح "elementalism"، الذي استخدمه أصحاب التيار العلمي البيني، فيما أطلق عليه كورزيبسكي " General Semantics".

[2] القائم على فصل العوامل والمراحل بعضها عن بعض، مما يجعل الأفكار نسقية لا تتوافق مع الواقع. سيرد مزيد من التفاصيل في مبحث جذور الأزمة.

[3] ويُقصد بالواقع هنا كل ما يكون مدار فكر الإنسان، أو يؤثر فيه، أو يعرف عنه (سواء أكانت تلك المعرفة فعلية ثابتة بالبراهين، أم متوهمة أم موروثة). ومما يمثل النوع الأخير من حالات الواقع مصطلح "نكهة الكوراكات" الذي ابتكره فيزيائيون للإشارة إلى حركة بعض الجسيمات الغريبة خارج النواة. ويعلل واضعو هذا المصطلح اختيار كلمة "نكهة" بكونها الكلمة المقابلة لكلمة "رازا" السنسكريتية، التي تعني في الثقافة الهندية مبدأ عالٍ في المعرفة؛ يحتل مكاناً أعلى من الفكر وأعلى من الإدراك. وعلى أي حال، فهذا المفهوم المتغلغل يبدو وكأنه يغلف الإدراك (الغرض الواجب معرفته والعقل العارف)، كما لو كان الجسد بأكمله والنفس والمشاعر وأعضاء الحس طبعاً، تحت تأثير خاص من "رازا" ما، أو "رازا" أخرى، تشارك في المعرفة. انظر أودوز؛ كلود كاريير؛ كاسيه (2000، ص 92).

[4] ربما تكون هناك حالات استثنائية يمثلها بعض العلماء والمفكرين المبدعين. وهم الذين يتصفون بقدرة فائقة على الربط الذهني بين العناصر المختلفة، مع الإبقاء على الطابع الشمولي للمعالجة التحليلية.

[5] وهو ما يشبه النموذج السهل الذي يمثل فكر "التضمين الوهمي"، القائم على أن صاحبه هو من يسأل: "ماذا يحصل للفتحة الدائرية التي تتوسط فطيرة الدونت بعد أن نأكل الفطيرة؟" فمبدأ التعجب من كيفية ذهاب الفتحة الدائرية في فطيرة الدونت هو نتيجة لمثل هذا الظن بأنها ستبقى (بوصفها حالة مستقلة وليست متصورة).

[6] وهي النظرية التي انتقلت إلى الدراسات الفلكية الإسلامية، دون الاهتمام بنظرية ليوسيبوس (الواردة أدناه)، التي ظهرت بعدها، أو دون معرفة وجودها.

[7] وفقاً لفلسفة السلوكيين في تحليل العلاقات بين ثالوث الواقع واللغة والتفكير. ومن الدراسات المعنية بهذا الشأن ما يسمى "علم النفس الدلالي"، ويمكن التوسع فيه من خلال دراسات مثل: (1975). Fodor

[8] انظر فيما يخص الفروق بين الوصف والتجربة الفعلية Spiro (1983، ص 29).

[9] وعن علاقة سعة الأفق بالانعتاق من سجن العقل النمطي الموحد، انظر العجمي (2020، ص 105).

[10] سنتناول هذه القوالب المنطقية في مبحث (3. 2).

[11] وكالات الأنباء العالمية (بلغات متعددة).

[12] بشأن علاقة الذاكرة بالقدرة على التعلّم لا يحتاج المرء إلى توثيق، فهي فكرة سائدة لدى كل المجتمعات البشرية؛ لكن ما نوثقه في هذا المجال يتعلق بعلاقة التداعي على وجه الخصوص بتلك القدرات. انظر Rita (2000، ص 181).

[13] وهنا تكمن إشكالات اللغة، والاضطراب الذي تنشأ عنه مثل هذه الظاهرة وغيرها من معايب اللغات البشرية.

[14] توجد مدارس فلسفية – أبرزها مدرسة الهيغليين ومدرسة الذرائعيين – تنفي وجود تمييز بين المعطيات والاستدلالات. فأتباعهما يقولون بوجود عنصر استدلالي في معارفنا كلها، وأن المعرفة تعدّ كلاً عضوياً، وأن اختبار الصدق يمثُل في الاتساق المنطقي، وليس في التطابق مع الواقع. انظر راسل (2013، ص 193).

[15] ويندرج في ذلك كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي أو اللباس أو البهرجة الإعلامية. كما يشترك معه أسلوب التعميم، الذي يعد مخرجاً بائساً من أزمة منطقية، على غرار: "كل الناس كذا"، وأسوأ من ذلك: "ما فيه أحد يسوّي كذا".

[16] هو أحد القوانين التي وضعها أرسطو، وهي: 1 – قانون الهوية؛ 2 – قانون التناقض؛ 3 – قانون الثالث المرفوع. انظر راسل (2013، ص 54).

[17] ومن ذلك ما كان يحدث في الجستابو (أيام الحكم النازي)، وفي أوساط داعش (إبان تكوينهم الدولة الإسلامية في الشام والعراق).

المراجع العربية

أودوز، جان؛ كارير، جان كلود؛ كاسيه، ميشيل. (2000). *أحاديث حول اللامرئي*، ترجمة: نور الدين شيخ عبيد. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

براون، ج. ب. ؛ يول، ج. (1997). *تحليل الخطاب*، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. المطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض.

حنفي، حسن. (2012). رؤى العالم – المقدس كمحدد لتابعية الرؤية الدينية للعالم. *عالم الفكر*، *40*، (3)، 7 – 20.

راسل، برتراند. (2013). *بحث في المعنى والصدق*، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل. المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

ريكاناتي، فرانسوا. (2016). *فلسفة اللغة والذهن*، ترجمة: الحسين الزاوي. ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية -ناشرون، وهران (الجزائر) وبيروت.

الشرفي، عبد المجيد. (2001). *الإسلام بين الرسالة والتاريخ*. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

العجمي، فالح شبيب. (1999). العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص. *عالم الفكر*، *28*، (1)، 345 – 377.

العجمي، فالح شبيب. (2008). *تحت القشرة: دراسات في الثقافة والموروث*. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

العجمي، فالح شبيب. (2020). *خطاب السعادة – المصادر والآليات والتداخلات*. شمس للنشر والإعلام، القاهرة.

العجمي، فالح شبيب. (2021). *مراحل الإدراك والقدرات التحليلية: من التفكير إلى التطبيق*. دار ملامح للنشر، دبي (الإمارات العربية المتحدة).

فاركلوف، نورمان. (2009). *تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي*، ترجمة: طلال وهبة. المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

كاسيرر، إرنست. (2009). *اللغة والأسطورة*، ترجمة: سعيد الغانمي. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة).

مفتاح، محمد. (1990). *دينامية النص (تنظير وإنجاز)* (ط2). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب).

المراجع الأجنبية

Carter, R. (2000). *Mapping the Mind*. Phoenix, London.

Chase, S. (1966). *The Tyranny of Words*. Harvest Books, New York.

Deist, F. E. (1995). Text, Textuality and Textual Criticism. *Journal of Northwest Semitic Languages***,** 21*(2)*, 59 – 67.

Fodor, J. (1975). *The Language of Thought*. Crowell, New York.

Giora, R. (1991). On the cognitive aspects of the joke. *Journal of Pragmatics*, 16, 465– 485.

Hayakawa, S. I.; Hayakawa, Alan R. (1990*). Language in Thought and Action*, Fifth Edition. San Diego, New York, London: A Harvest Original Harcourt, Inc

Korzybski, A. (1974). *Manhood of Humanity*, 2d edition. Lakeville (Connecticut/ USA),

The International non-Aristotelian Library Publishing Company& Institute of General Semantics.

Krogerus, M; Tschäpeler, R. (2012). *The Change Book*. Translated by Jenny Piening. Profile Books, London.

Luriiâ, A. R. & Wertsch, James V. (1982). *Language and cognition*. Washington, D.C.: New York ; Chichester: Winston; Wiley.

Neisser, Ulric. (1976). *Cognition and Reality-Principles and Implications of Cognitive Psychology*. W. H. Freeman and Company, San Francisco (USA).

Rapoport, A. (1971). *Science and the goals of man: A study in semantic orientation*. Greenwood Press Publishers, Westport (Connecticut, USA).

Spiro, R. J. (1983). Subjectivity and memory. In W. Kintsch & J. F. LeNy (Eds.), *Language and comprehension* (pp. 29–34). Amsterdam: North Holland.

The Philosophy Book. (2011). Dorling Kindersley Limited, London.

van Dijk, T. A. (1983). Opinions and attitudes in discourse comprehension. In W. Kintsch & J. F. LeNy (Eds.), *Language and comprehension* (pp. 35–51). Amsterdam: North Holland.

بيانات الباحث

فالح العجمي، أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، وترأس القسم في الفترة (2005-2007م). درّس في حقل اللسانيات في عدد من الجامعات العربية وأشرف على العديد من رسائل الدراسات العليا في التخصص، كما عمل أستاذاً زائراً في جامعات عربية وأوربية، وحضر وأشرف على عدد من المؤتمرات والندوات في تخصصه. أنشأ جمعية اللهجات والتراث الشعبي، وعمل رئيسًا لمجلس الإدارة فيها لثلاث دورات متتالية (2006 – 2012م). ترأس تحرير مجلة الخطاب الثقافي (2006- 2010م)، وله عشرات الأبحاث والأوراق العلمية المنشورة في المجلات المتخصصة، وعدد من الكتب في التخصص وفي الحقول الفكرية المتصلة به.

AUTHOR BIODATA

Faleh Shabib Alajmi is a full Professor of Linguistics in the Department of Arabic, at King Saud University. He was also a Linguistics lecturer in a number of Arab Universities, and supervised many theses in the subject. In addition, Dr. Alajmi was a visiting lecturer in a many Arab and European Universities during the sabbaticals he had in his career. He also participated in many conferences, and chaired some of them. Dr. Alajmi headed the Department of Arabic at King Saud University (2005-2007), was Chairman of the Saudi Dialects and Folklore Association (2006-2012), and Editor-in-Chief of the Journal of Cultural Discourse (2006-2010). His publications include numerous scientific papers and books in Linguistics and general cultural issues.

معرف أوركيد **(ORCID)**: 0000-0002-6055-7754

Email: anz_ruh@hotmail.com